ينخدع الامام باقوالهم فاقاموا لهُ خصماً يدعى المهديّ الذبياني جرت بينهُ وبين يحيى بعض المناوشات ثمَّ اصطلحا على مقاومة الاتراك

فأرسلت من الاستانة قوَّات جديدة الى اليمن وحصلت عدَّة معارك من السنة ١٩٠٩ الى ١٩١١ أُصيب فيها اليمنيُّون ببعض الخسائر . ثمَّ دُعي الامام يحيى مع قومهِ الى الجهاد في الحرب البلقانيَّة فرضي بهِ وتعهَّد بارسال ١٠٠,٠٠٠ جندي للدفاع عن حوزة الاسلام على شرط ان تعترف الدولة باستقلالهِ فوعدوهُ خيرًا وتقرَّب الى الدولة لكنَّ الحرب البلقانيَّة انتهت قبل ان ينجز بوعدهِ

ثمَّ أُعلنت الحرب العموميَّة الاخيرة فسحبت الدولة العثمانيَّة جيوشها من اليمن لحاجتها اليهم وبقي الامام يحيى آمناً في بلادهِ . فسعت لديهِ الدول الاتفاقيَّة وطلبت منهُ الحياد وبغَضت اليهِ تركيَّة واحلافها وراعت لهُ خاطرًا في حكمهِ على بلادهِ مستقلًّا لكنَّ الامام اصرَّ على ثباتهِ في ولاء تركيَّة . وذلك في السنة ١٩١٧ وقد استولى على قنفذة من ثغور الخليج العربيّ . ولم يبلغنا بعد الهُدنة خبر عن شؤون تلك الجهات (لهُ صلة)

زجليَّة في وصف الغلاء والجوع والضيق

منذ مائة وثلاثين سنة

نشرها بحواشٍ ومقدمة الكاتب المتفنن عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار)

بعد مرور ثلاث سنوات على الحرب الضَّروس ومشاهدة ما تشيب له رؤوس الاطفال من اهوالها وقع لي توافق غريب . بينما كنتُ ابحث بين مخطوطاتي مستمرياً الحوادث السالفة وما قيل فيها عثرتُ بينها على سفينة وهي دفتر مستطيل قليل العرض فاذا فيه زجلية كأنما نُظمت لهذهِ الايام منذ ذلك العهد البعيد واليك الآن وصف هذه السفينة :

هي دفتر بطول نحو عشرين سنتيمترًا وعرض عشرة سنتيمترات يقع في ٧٨

صفحة على ورق صفيق وبخط كتبي جميل كُتب في العشر الأول من القرن التاسع عشر للميلاد وفيه المواضيع الآتية :

١ً زجلية في وصف حوادث جبل الدروز (الشوف) سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م) تقع في ١٨ صفحة لناظمها ابي ابرهيم درويش بن مرعي القاري المنتسب الى قرية قاره في جبل القلمون وفيها تفاصيل غريبة لحروب تلك الايام ولاسيما الثورة الوطنية في الشوف والمتن

٢ً زجلية في وصف الغلاء والجوع والضيق الذي حصل سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) بعد مرور ثلاث سنوات على اضطراب لبنان وضواحيه ولم نعرف اسم ناظمها ولكن يظهر من امره انه لبناني مسيحي من قضاء الشوف من جوار دير القمر او منها

٣ً اشعار وتعظيمات وإناشيد مختلفة بينها ما هو من قلم الشماس زخريا والشماس ابرهيم الطبيب الحاكي والشماس مخايل بروساوية والخوري مخايل البجع الحلبي والشماس نعمه الخوري توما والخوري نقولا الصائغ ويوسف اليهودي وغيرهم مع تخاميس ومدائح لشعراء مجهولين

وعلى الجملة ان هذه المجموعة كثيرة الفوائد رشيقة النظم مختلفة المواضيع بين دينية ومدنيّة وازجال واشعار واناشيد

حوادث الزجليّة المنشورة الآن

هي وصف لما حدث في مطلع القرن الثالث عشر للهجرة وختام الثامن عشر للميلاد ايام نشوب الخلاف بين الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان وابن شقيقه الامير بشير الكبير وإلقاء الجزّار الفتن بينهما على حدّ قول الامير بشير لعمّه لما انتدبهُ سفيرًا له لدى الجزّار في عكاء وهو : « اخشى ان اذهب اينك واعود ابن الجزّار » فكان كما قال . وكان من اشدّ الفتن اذ ذاك ما حصل بين الامير قاسم حيدر الخرمشي وابن عمه الامير جهجاه مصطفى في حكم بعلبك واستفحال الخلاف بينهما ومحاربتهما وقتل الامير قاسم ثم اشتداد الخصام بين امراء لبنان مما قامت له البلاد وقعدت وانتشرت الفتن في ضواحيه ولاسيما في الشوف والمتن وسيادة الفوضى

والسعايات مما خرَّب بعض المدن وقضى بجلاء النصارى منها فكانت فتنة بيروت بين فارس الدهان والي عسكر يونس نقولا الجبيلي حتى أقفلت ابواب المدينة وهرب النصارى منها وبقيت عقاراتهم ثمن الالف بمائة غرش . وانتقام الامير بشير من خصومه بتشديد الطلب للضرائب والوزائع منهم وجمع المال بواسطة مدبّريه فارس نصيف الجزيني وجدعون الترك الدّيري وتقديمهما للجزار . وما كان من شرارات الثورة الفرنسية في الشرق وتفشي الطاعون الجارف في القطر المصري وفتنة المماليك وقتل كثير من الامراء والمدبّرين شنقاً وإرهاقاً وقتلاً (قطع رأس) واحراق المنازل وقطع الاشجار حتى اشتدَّ الغلاء وكثرت المصادرات وقلَّ الأمن وزادت قيم النقود الى مثل ذلك من النكبات والكوارث التي ذكرها المؤرخون . لكنَّ ناظم هذه الزجليَّة المنشورة اليوم قد صوَّرها لنا باسلوبه العامي الرشيق وحسن استقرائه الحوادث وذكر تأثيرها في النفوس احسن تصوير لم نجد مثله في ما قرأناه عنها . ولا تأثرنا بتلك الاخبار على كثرة ناقليها تأثرنا من هذه البلاغة الوصفية

وهذه هي الزجليَّة كما وردت بالحرف

هذه الابيات قالها احد الأدباء واصفاً بها احوال هذه السنة وما حدث بها من الضيق والغلاء والجوع الصارم الشديد :

أبدا اقول في بيوت جدادْ واشهرها في كل البلادْ
رقوا لحالي يا أجوادْ قلبي تعنَّى ودمعي زادْ

قبل الآن كان لي قيمهْ وكل مقدار حبّه عزيه
ويدي سمحه وكريمه واصحابي نحوي تنقادْ

والآن انبدلت حالتنا وزالت عنا نعمتنا
وايضاً قلَّت قيمتنا وصارت في قيمة شحَّادْ

سنة مايتين . الف وسته (١ اخدتْ مدّ الخطه بسته (٢

(١) يريد سنة ١٢٠٦ هـ الموافقة ١٧٩١ م (٢) ستّ مصاري

وكان بزمان جدّي وستي باعوا بزلطه (١ سبع مدادْ
ما يكفي ما صار فينا بهذه السنتين هفينا (٢
يا ربي الطف فينا نحن عبيدك يا جوّادْ

كنت مصتد (٣ لي كم غرش وكانوا كومي مثل الحرش
ومكفي بيتي مونه وفرش وكسوه مليحه تياب جدادْ

مرّ علينا تلات سنين وتلاتتهم ملعونين
بلص (٤ وحرب وجوع مكين وهذه هي ضربات شدادْ

اسمع ما صار من سنتين بلصوني بالف ومايتين
وغالبها قد كانت دين يا ليت جدعون آغا (٥ بادْ

ماذا اخبركم عنه يا ما قاسينا منه
كل الناس بتلعنه حتى الرهبان والعبّادْ

وعام الماضي (٦ كان حروب ومن الدوله قلبي (٧ متعوب
فارس ناصيف (٨ المغضوب يبليه ربي بالانكادْ

وهذه الايام قد حطّت على هاتيك وقد وطّت (٩
وطويل الجوع لقد غطّت على نايات (١٠ ذاك الميعادْ

---

١) الرلطه عند العامة تلاتون مصرية ٢) متنا جوعاً ٣) موفر :
٤) المصادرة بالمال ٥) هو جدعون آغا التركي مدير الامير بشير الشهابي
٦) يريد سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) التي كثرت فيها وفي ما قبلها الفتن بين الامير يوسف والامير بشير والامراء الجراكسة وامتزادوادي النيم فقتل كثير وصودر الاخرون واشتدّ الغلاء وكثر الطاعون في مصر وكانت الحروب في فرنسة شورتها انه وقد وصفها احد الرجالين كما مر في المقدمة مطولا ٧) في الاصل (قبلي)
٨) يريد فارس ناصيف الجزّيني الذي كان من مدبري الامير بشير الشهابي ايضاً
٩) تقول العامة (حطّ ووطّى عليه) اي نزل به امر زاد عليه ونحو ذلك
١٠) من امثالهم « اجا الطبل فخش عالناي » بمعنى زاد في الطين بلّة او في التنور نفخة

راح زمان وجاني زمان ضيق سكرت الدكان
وبعده روحت (١ الفدان وبعت السكه للحداد

ايام سودا مثل القير والمونه خلصت بكير (٢
ولولا القره والجوجير (٣ كنا صرنا بارض روّاد (٤

حالتنا صارت عبره من الموت على وجهي غبره
وكانت كسره بلا جبره تفيتوا قولي يا اسياد

عيسى سيف (٥ مفهوم الجوع في فكري صاير مطبوع
وقلبي من جوره مقطوع وحاصل في كل الانكسار

كان عندى حالوش (٦ وفاس وطنجرتين ودست نحاس
فبعت الكل من الافلاس حتى الفرشه واللبّاد (٧

آها من ديق (٨ الأوقات من عوزي بعت الفرشات
عيله كبيره خمس بنات وأمراتي مع خمس أولاد

سم أمراتي زاد اخير السنه ولدت زال اخير
صاروا ستّه يا أهل اخير ونحمي يزود عددهم زاد

اين التنزيلات والكيف (٩ قد لاشاهم عيسى سيف
ما تسمع الّا يا حيف (١٠ من شان الله داد مداد (١١

---

١) عند العامة بمعنى باع ٢) القير الزفت. وخلصت بمعنى نفدت وبكير ايا (باكراً)
٣) من النباتات التي تكون على شاطئ المياه او في مجاريها وهي تكثر في لبنان
٤) تغني الاسراء اللاجئون الى حزيرة ارواد قصائد لهم فتضرب المثل عند اللبنانيين بما تبعد او التحقير ٥) تكنى العامة عن الافلاس والجوع والضيق باسم (عيسى سيف)
٦) الحالوش منجل الحصاد ٧) عوز ساط صوفي مايبد ٨) اي ضيق (بالابدال)
٩) الكيف عند العامة بمعنى الانبساط والسرور وكيف الرجل اذا سر وخاصة اذا شرب وطرب ١٠) يا حيف كلمة توجع عند العامة
١١) داد مداد انشبا مختزلة من قولهم: (يا مدد لمدد) عند الاستغاثة

وبطّلنا كل الاشغالْ وحصلنا على هذه الحالْ
ورطل الخبز يباع بريال (١ اسمه خبز ولونه سوادْ

وبطلت القرضه والدّينْ ما عادوا يعطوا قرشينْ
ومن يوجد عنده مدّينْ خناهم في هذا الميعادْ

وتعطّل شغل النجّارْ وباع القدّوم والمنشارْ
والحايك ثم البيطارْ باعوا الآلة والإعدادْ (٢

والصايغ ثم العطّارْ والبايع ثم الجزّارْ
والصبّاغين والتجّارْ والقرداحي (٣ والحدّادْ

والمقادين والطبّاعْ والشرّابين والبيّاعْ
والغاية كل الصنّاعْ حصلوا في سوق الاكسادْ

وبطلت كل الكيفيّاتْ ومعها جميع التنزيهاتْ
لا فيه عرس ولا عزيماتْ (٤ فكل شي من هذا ما عادْ

وارتفعت كل الاسعارْ جوع وضيق مثله ما صارْ
كتيرين ماتوا ياستّارْ (٥ لمّا عدموا اكل الزادْ

اخدت لولادي رطل طحينْ فول وكسنه ورزينْ
بتصريات خمسة وستينْ وعجناه فشّى (٦ ما زادْ

وخبزناه بلا تنورْ وحطّينا للباب ناطورْ (٧
ما كفّانا نصف فطورْ وكان غايبنا ابني عمادْ (٨

١) الريال في عرفهم غرش ونصف ٢) اي العدّة والادوات
٣) القرداحي هو الحدّاد الذي يشتغل بالمبرد وبالاسلحة واصل القين تؤدي معناها . ويقال القرداحي على النسبة التركية ايضاً ٤) جمع عزيمة بمعنى دعوة الطعام
٥) كلمة « يا ستار » للترحّم بمعنى يا الله يا ساتر
٦) فشّى العجين ونحوه اذا انتبر وانتفخ ٧) حارس وحافظ وحاجب
٨) غايبنا اي غائب منا وخصّ ابنه هذا بالذكر لانه الاكبر فهو ياكل اكثر من اخوته

شموا ريحتنا الجيران لما ان شافوا الدخان
اتونا قالوا اعطونا احسن او عيرونا بغير رداد (١

قلت لهم نحنا مساكين الآن اولادي عريانين
قلعوا ثيابهم الوسخين عمال نغلي بالقدر رماد (٢

اخذت حفن نصف وقيه نجفي ونجتي (٣ بشاهيه (٤
عشر دراهم بصريه خمسين حبه بالتعداد

ولم يبقى للوزن وجود والبرغل ايضا مفقود
ورطل الفول بخمس عدود (٥ اخبر عن امه يا جواد

والعدل نصف وقيه شامي (٦ اباع بصريه
وملح اخذنا قنيه (٧ بعشر معاري بالف جهاد

وجنس اخار فصار مطلوب فلا يوجد غير الخرنوب
الرطل بزلطه يا حبوب اكلت وقيه صار لي سداد (٨

وتسكرت صيدا وبيروت (٩ وما عاد يخرج منهم قوت
وتيقنا اننا نموت جوعاً من قلة الزاد

من القلة نحن هفينا وتربطت ايادينا (١٠
ولما ان ضاقت فينا قلنا نروح لغير بلاد

سألنا عن حالات الشام قالوا ما فيه جنس طعام

---

١) اي مون ان فيد ابكم الاعرة
٢) في هذا اشارة الى التفصل من وجود ما يطبخ عنده وبد عدم وجود الصابون للغسل
٣) هو قسم عندهم بمعنى بحق نصيبي وقسمي
٤) الشاهيه قيمتها ثلاث بارات وثمت ارة
٥) المد خمس بارات وجمعها عدود ٦) كان الوزن الشامي غير الوزن الحلبي واللبناني
٧) مكيال هو ثمن اي نصف رطل ٨) مرض يسمى ربع السدد
٩) اي بيروت حرفها للوزن ١٠) تربطت الايدي اي انقطعت عن العمل والسعي

الأكل حشيش بغير إدام (١ وكم فيها ماتوا سيادْ

قلنا نروح لبلاد حوران قالوا هذا كلام جنانْ (٢
التبن يبيعوه بالميزانْ ونحن على ذلك شهادْ (٣

قلت وعكا يا اخيارْ ماذا عنها من الاخبارْ
قالوا بلطة الجزارْ (٤ وكل ساعه رايات (٥ جدادْ

قلنا بعابك يا اصحابْ قال لها سنتين خرابْ
لا غلات ولا اكسابْ (٦ وجهجاه غير ممكن ينكادْ (٧

قلنا حمص وقراها كيف قال قاطعهم عيسى سيفْ
بزمان الخير لم يقروا ضيف ولن يوجد فيها اجوادْ (٨

قلنا نقطع لارض حماه وناكل من هناك كماه (٩
قالوا رايك ما قبلناه تموت الجوع بغير ميعادْ

وطرابلس لا تطريها (١٠ فعيسى سيف هافيهْ
من يومين كنّا فيها فلن يوجد غير الكبادْ (١١

قلنا وبلاد البترونْ قولك فيها كيف يكونْ
قالوا لا شك انك مجنون ما فيها غير معزي وسوادْ (١٢

قلت لهم وبلاد جبيلْ قالوا بتلاتين الكيلْ
والناس حالتهم بالويلْ وذاك بلاد وهذا بلادْ

١) الادام اللحم والزيت والسمن ونحوه ٢) جنون ٣) شهود
٤) يريد ان الفأس الشهاة باطة هي دائما مختزة تقطع الرأس
٥) جمع رأي اي آراء ٦) اي ارباح
٧) اي ان الامير وجهجاه الخزفوش لا يغاث ٨) لا تعلم الا ذا تخاذل الناس في الحسنين
٩) الكمء لانه يكثر في تلك الجبات ١٠) اي لا تقصدنا ولا تخطرها ببالك
١١) لكثرة حدائق الليمون والبرتقال فيها
١٢) تكثر الماعز في بلاد البترون لكثرة اشجارها وغياضها والسواد هو الاسود

قلت علينا باستنبولْ قال لا شك انك مهبولْ (١
ما صاير لك اكلة فولْ فاين الزوّاده والزادْ

اوفق لك سكنى بلادكْ ويتبقوا لك اولادكْ
وفيهم بتنال مرادكْ وينفرجها رب الاعبادْ

رأيت ان هذا راي نصيحْ كلام محبّه وقول صحيحْ
منقضيها (٢ وحيش ومليحْ من البور حتى يصير حصادْ (٣

وعير الملح ما عدنا نموزْ ونصف وقية زيت بكوزْ
وبلاهم (٤ ايضاً بيجوزْ على اكل الخنزره (٥ نعتادْ

ولما حاق فينا الافلاسْ عملت لولادي خمس اكياسْ
وطلبنا صدقات الناسْ وصرت ابرم (٦ مثل الشحّادْ

رحنا قصدنا دار المِيرْ (٧ وكان رجانا فيه كبيرْ
باجهد عطونا رغيف شعيرْ وقالوا روحوا بغير طرادْ (٨

قد توجّهنا للدّير (٩ انا وامراتي لا غيرْ
قلنا الرهبان عمّالين خيرْ عطوني طلبه وقالوا بعادْ (١٠

وقصدنا بيت الاصحابْ بوجهي قاموا غلقوا البابْ
فصرت ابكي ودمعي تسكابْ على ذلك . ما انا معتادْ

ولم يوجد من يعطينا ولا من يشفق فينا

١) اي محتل الشور ويقولون اهبل وهبله ايضاً ولهانا تحريف (جاول)
٢) منقضيها اي نصرفها بحالتي الرخاء والشدة
٣) اي من قبل الفلاحة للزراعة الى ان يصير حصاد المزروعات
٤) بدوخه ٥) البقول والحشيش ونحوها ٦) ادور
٧) الامير بشير الشهابي الكبير ٨) بدون طرد
٩) اما دير القمر التي كان فيها رهبان دير الثلة او لدير مجاور كمشيق ونحوه
١٠) انضمه الرغيف المستدير السميك . وبعاد بمعنى ابعد

حتى من الجوع هفينا وكل يوم الضيقه تزداد

اشتد الجوع وزاد الضيق وما عدنا نعرف لصديق
كم ليله غنا على الريق (١ وما عرفنا بالليل رقاد

تحقيق لي عشر ايام لم يدخل في فمي طعام
أما هذا يا ربي صيام فقربنا نحو الاعياد

ومن عشرين يوما وينيف على حظي ما كسرت رغيف
من الجوع صار جسمي نحيف وضعفنا أرواح وأجساد

وخامتنا هذه التله وفي بيتي ما فيه غله
فصرنا نشتاق للدله تكون مخبوزه خبز جماد (٢

آه على اكلة لبنيه وعشرين كبه محشيه
واتعشى عشره هنيه قبل ان انزل بالاحاد (٣

هذا بطلب من ربي يرزقني اكلة كبه
من البرغل ما فيه حبه فشهوات قلبي عني بعاد

صرنا ندور في البريه من بكره لعند عشيه
ناكل عشب وقدريه ولجل وخبيزه ورشاد (٤

من صدق انا منعيش وغدانا وعشانا حشيش
بيض حليب وجبن قريش موجود لكن في بغداد

تشوف الناس متل القطعان في البريه والوديان

١) على الريق اي بدون طعام
٢) الله معروفة وخبز جماد اي مجفف بالشمس دون ان
٣) اي بالقبور
٤) القدرية هي المعروفة عند عامة الناس بالقصوص وهي بزنجية محرفة معربها لسان الثور ويسمونها كذلك في لبنان ايضاً . والرشاد بقلة معروفة

كل واحد عامل شقبان (١ نسا ورجال بنات وولاد

وصاروا من ديقة الاوقات ياكلوا من لحم الحشرات
ولحم الزلف والحيّات والقنفد من غير اقياد (٢

وكثيرين من ديقتهم والجوع انبدلت خلقتهم
تراهم رقت نغمتهم مما قاسوا من الاجهاد

بعلمك كانوا أولادي ملاح وخلقتهم مثل التفّاح
قد صاروا شبه الوحواح (٣ اذا رشيت عليه رماد

وقد ماتت بنتي مرجان وتاني يوم ابني رضوان
قبرناهم من غير أكفان ولحقتهم أمراتي (زاد . .)

وتبقى اربع صبيان عماد وايوب مع سرحان
وخمس بنات وسليمان جمله تسعه بالتعداد

هذا الضيق مثله ما صار بمصر ولا كلّ الاقطار
ولا بزمن ايليّا البار ولا جا في عهد الاجداد

فلم ضاقت اخلاقي كتبت اقوالي باوراقي
وشيرين للبيدر باقي لا بد يفرجها الجوّاد

هذه السنه ارخناها ومصايبنا شرحناها
وفي الدفتر سطرناها ليقروها أولاد الأولاد

---

١ الشقبان تنو العباءة ونحوها الى الاعلى ليوضع فيها شيء وهي من عادات نساء العرب
ايضا وهو محرف التبكان وهي الحبال المشبكة كالخوالق يحمل فيها الحشيش ويحمل

٢ الزلف عندهم بمعنى السلاحف ونسمي ايضا الجاروبة عند العامة . ومن غير اقياد
اي بدون مانع

٣ الوحوح عند بعض العامة بمعنى الشيء الصغير كالحجر والنبات